ويشرح العقاد معنى السؤال أو النقد فى هذا الجو ، فليس النقد هو أن تطلب منى أن أكتب مثل غيرى من الناس . النقد هو أن ترى المؤلف قد تجاوز عقله أو شخصيته فى هذا الموضع أو ذاك . هذا هو احترام الشخصية الفردية الذائع فى نتاج العقاد .

الفهم إذن يرتبط فى فلسفة العقاد بنوع من السخاء أو السماحة . وليست السماحة هى إضفاء المناقب بلا حساب . السماحة هى التقدير . والتقدير هو الماء والغذاء للإنسان . التقدير بهذا المعنى علامة الفهم ، وعون عليه . بين الفهم والتقدير علاقة جدلية رائعة يحب العقاد الإشارة إليها بين حين وحين . وليس للحوار أية قيمة مالم يكن مشفوعا بهذا الثناء الباطنى . لا يمكن أن نثق بفهم لا يرى الكلمة الطيبة وإن كانت مستترة فى ركام كثير . الفهم باختصار حاسة أخلاقية .

لا يمكن أن نحدد طبيعة الفهم بمعزل عن علاقة اجتماعية ناضجة . وفى هذا الضوء يقول العقاد إن الفهم مجاوبة ومجاذبة بين النفوس التى تفهم طبيعة الكاتب فهم وفاق أو فهم خلاف . فالخلاف إذن مشروع فى إطار الألفة أو العطف . وبيان ذلك يسير . ويجب على كل حال أن نسأل عن الغاية من الخلاف ماهى ؟ الغاية من الخلاف هى أن يوقظ الناس قوى الناس وملكاتهم ، وأن يعين أحدنا الآخر على عرفان نفسه والإخلاص لسريرته . فليس المقصود إذن هو محض الثناء والإعجاب ، وليس الثناء بالمعنى المتبادر مطلوبا فى كل أوان . ولكن المطلوب فى الوفاق والخلاف التشجيع والتوليد . العقاد واضح كل الوضوح فى أن الفهم حاسة خلقية .

إن الإنسان لا يفهم إلا من خلال الحوار . والنص نفسه لا وجود له بمعزل عن قارىء أو قراء . النص غير المقروء إن صح هذا التعبير مغلق فى غلافه يحتاج إلى من يفتحه على النصوص ، أو يصله بها . والاتصال كلمة مهمة تعطى للخلاف على الخصوص وظيفة اجتماعية . الفهم كله يمكن أن يقال فيه إنه اتصال . والاتصال بطبيعته جدل أساسى بين الوفاق والخلاف ، أو جدل بين الإعجاب والإنكار . وعلامة الفهم الأولى هى حركة العودة والذهاب بين الفرد والمجتمع أو بين النص وسائر النصوص .

ويمثل العقاد للعجز عن الفهم برسول أرسل إلى الملأ فذهب إلى حيث لا يرجع أو يرجع مثقلا بالخيبة والكنود . الفهم جدل الاتصال . والاتصال بحث عن التوافق